

دور المرأة في التربية

— توطئة.

— ما معنى التربية. ما الفرق بين التربية والتعليم؟

— ما الدور التربوي المنوط بالمرأة؟ وهل هو دور وحيد أم أدوار متعددة؟

— ما الدور التربوي للمرأة في مراحل التعليم كافة؟

— ما متطلبات إعداد المرأة للتربية؟ متى يبدأ الإعداد؟

— من يقوم بعملية الإعداد. وكيف تتم هذه العملية؟

— إعداد المرأة لدورها التربوي في رياض الأطفال، في المدرسة، في الجامعة، وفي البحث العلمي.

— ما التحديات التي تعوق الدور التربوي للمرأة؟

— المراجع المعتمدة.

توطئة

إنه لمن المؤكد أن التربية والتعليم والعمل من أهم روافد التنمية الشاملة لأي مجتمع وفي أي بلد من بلدان العالم سواء كان متقدماً، أم يسير على طريق التقدم والنمو، وإذا كان الأمر كذلك بشكل عام، فإن أهمية هذه العوامل، والإلحاح عليها تزداد في الدول النامية بصفة عامة، وفي الدول العربية على وجه أكثر خصوصية، لأنها ما زالت تواجه تحديات كثيرة سواء على المستوى القومي أم السياسي، أم الاقتصادي أم التربوي.

وعلى اعتبار أن التربية، ومن ثم دور المرأة فيها، يشكل محور اهتمام هذه الدراسة — فيإني أكاد أجزم أنها (أي التربية) تمثل العنصر الأساسي والحاسم في تنمية مجتمعا العربي ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً و...، لأنها تشكل المنظومة الرئيسة لبناء شخصية الطفل، وإطلاق إمكاناته واستعداداته الكامنة وإتاحة المجال لهذه الإمكانيات والاستعدادات، كي تفلت من عقابها، وتتحوّل إلى مهارات وأفعال تساعد الطفل على تعلم واكتساب صفات المواطن الصالح في مجتمعه وأمتة العربية، بحيث يكون قادراً في المستقبل أن يلعب الدور المنوط به في عملية التغيير والتطوير التي نضبو إليها جميعاً.

وحقيقة الأمر أنني لن آتي بجديد، ولن أبالغ إذا قلت: إن المرأة تلعب الدور الأهم والرئيس في عملية التربية الشاملة، ليس كأهم فقط بل كمربية ومعلمة في جميع المراحل التعليمية، وذلك بدءاً من رياض الأطفال، ومروراً بالتعليم الأساسي والثانوي، ومن ثم التربية والتعليم في المراحل الجامعية، سواء على مستوى الإجازة، أم الدراسات العليا والبحث العلمي.

ومن هنا فقد آثرت أن أسهم في معالجة هذا الموضوع الهام الذي سبقني إليه الكثيرون من التربويين والنفسيين المرموقين على المستويين العربي والمحلي.

لكن، وانطلاقاً من أهمية التربية، ودورها الرائد والمتجدد في تنمية مجتمعا العربي، فإنها تستحق منا مزيداً من الجهد والعناء، والتفكير في كيفية تجديدها وارتقائها، لتسهم في مواجهة التحديات الكبيرة التي نعاني منها.

ولعله من المفيد والضروري أن نبدأ فتتعرف على معنى التربية أولاً.

أولاً: ما معنى التربية؟

لقد تطور مفهوم التربية واتسعت آفاقه كثيراً، إذ لم يعد قاصراً على عمليات تعليم الفرد وتدريبه وتنقيفه وتثقيفه بل تعدى ذلك ليصبح شاملاً لجميع عمليات التنمية الفردية والاجتماعية. ويخلط البعض أحياناً بين مفهومي التربية والتعليم، إلا أنه على الرغم من الترابط والتكامل والتداخل الكبير بينهما، فهناك فروق واضحة، لا بد من الإشارة إليها منذ البداية، فالتعليم شكل خاص من أشكال التربية، وجزء لا يتجزأ منها، إلا أن التربية هي الأشمل سواء على مستوى الكم أم الكيف. لأنها تعني الحياة، والحياة تعني التربية.

والتربية العربية بمفهومها الشمولي المعاصر تسعى لإعداد الفرد جسدياً ونفسياً وأخلاقياً واجتماعياً ودينياً و... الخ، آخذة بعين الاعتبار الظروف والمتغيرات العالمية بشكل عام وظروف مجتمعاتنا العربي بصفة خاصة وبخاصة المحافظة على القيم الأصلية والخصائص الإيجابية الكثيرة والمتنوعة في تراثنا العربي الإسلامي، وهي من أجل ذلك تستخدم طرائق علمية ونظامية، وأخرى خبرية غير نظامية أنتجتها مؤسسات المجتمع المختلفة التربوية وغير التربوية إضافة إلى نتاج التقاليد والعادات والمعايير التي ما زالت تؤثر في نظامنا التربوي إلى حد كبير.

وعلى ذلك، أستطيع القول إن التربية هي عملية نشئة وإعداد شامل للفرد تحول من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وتكسبه صفة الأنسنة التي تتطلب بالإضافة إلى الخصائص والسمات البيولوجية خصائص أخلاقية واجتماعية وفنية وعلمية واقتصادية، وهي عملية مستمرة (من المهد إلى اللحد) كما قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

أما التعليم فيركز على الجانب المعرفي بما ينطوي عليه من مفاهيم ومبادئ ونظريات في المجالات العلمية كافة، ومن ثم تطبيقها وتمثلها في السلوك، بغية تطوير وارتقاء الفرد والمجتمع.

والحق، أن المفهوم المعاصر للتربية، بات يقترب من المفهوم الشامل لعملية التعلم والتعليم إلى حد كبير، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة استخدام الأساليب والتقنيات العلمية الحديثة، وتنقية التربية من مفاهيم بالية دخيلة عليها ومعوقة لمسيرها، مثل الشعوذة والسحر، والخزعبلات، والأفكار الخرافية الغوغائية وغيرها.. ولم تعد المؤسسات التعليمية النظامية تمارس مهمة التعليم والتربية لوحدها، بل باتت تسهم فيها مؤسسات كثيرة نظامية رسمية

متخصصة، وأخرى غير نظامية يتجه إليها الفرد برغبته بدافع تحسين وضعه المهني، ومستواه الحياتي من جميع الأوجه، وذلك في أوقات فراغه، ليتعلم فيها تعليماً ذاتياً وخبرياً، ويتدارك ما لديه من جوانب النقص من جهة، ويطور المعارف والاتجاهات والقيم والمبادئ التي كان تعلمها من جهة أخرى. سيما ونحن في عصر المعلومات، عصر المعرفة والثقافة الذي لا مكان فيه إلا لحامل العلم والمعرفة، والراغب في تطوير معارفه وارتقائها باستمرار.

ثانياً: ما الدور التربوي المنوط بالمرأة؟ هل هو دور وحيد أم أدوار متعددة؟

*** دور الأمومة:**

واقع الحال أن دور المرأة في التربية دور مركب ومعقد ومتعدد الجوانب، ولعل الدور الأهم والأعظم الذي تقوم به المرأة في مجال التربية الشاملة هو دور الأمومة الذي لم يعد يقتصر على عملية الإرضاع أو الرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة بل يشمل كل المراحل، فإذا كانت مهمات الحمل والولادة والإرضاع مهمات شاقة وضرورية، فإن مهمات الرعاية والمتابعة والإشراف على الأبناء في المراحل اللاحقة لا تقل عنها أهمية بل إنها تزيد وترتقي وتتعدد مع تعقد وتطور كل مرحلة نمائية.

فما المقصود بالأمومة، ماذا تعني؟

إنه لمن الصعب علينا أن نحدد معنى الأمومة بكلمات أو عبارات أو حتى صفحات وكتب، لكنني أستطيع القول وباختصار شديد:

إن الأمومة مركب من المشاعر والأحاسيس الحميمية والخاصة جداً، التي تسمو فوق كل المشاعر الإنسانية الأخرى، وتؤدي إلى نوع خاص ومميز من التواصل والتناغم والتعلق الحميمي بين الطفل وأمه، الأمر الذي يمنح الأم قدرة غير عادية على التحمل والتعب وسهر الليالي والتضحية والحب غير المشروط وبلا حدود؛ كي تربي طفلها وترعاه إلى أن يشب ويكبر ويصبح قادراً أن يعتمد على ذاته.

وعندما تقرر المرأة أن تكون أمّاً عليها أن تضع حاجات طفلها في المقام الأول، وعليها أن تنهياً وتندرب سلفاً على مهارات تربوية كثيرة أشير إلى أهمها فيما يلي:

- أن تكون قادرة على الصبر والتضحية وبذل الجهد المتواصل.
- أن تشجع السلوك الجيد الذي يصدر عن أبنائها وتبتعد عن الصياح والجدال والتركيز على السلوكات السيئة لدى الأبناء.
- أن تفتخر بإنجازات أطفالها وتشجيعهم على النقاش والحوار الهادئ البناء.
- أن تدرب أطفالها على الطرائق والمهارات التي تساعدهم على النجاح وأهمها الجهد والمثابرة والاعتماد على الذات، وأن تكون قدوة حسنة لهم في كل ذلك.
- ألا تجعل تصرفات ابنها أو بنتها السيئة تمنعها من إنشاء علاقة طيبة معه أو معها.
- أن تتوقع حدوث المشكلات والشغب وتضع خططاً لمواجهتها.
- ألا تعاقب الطفل عندما تكون على خلاف معه، بل تستخدم أسلوب العقاب الذي يدعم الطفل، ويساعده على صنع القرار الصحيح، وتحمل المسؤولية، والتخلص من العادات الخاطئة.
- أن لا تدع أطفالها يذهبون خارج البيت بقصد التخلص من إزعاجهم.
- أن تتناسك أمام الأطفال ولا تخرج عن طورها مهما غضبت.
- أن توفر مناخاً أسرياً يغمده الدفء والسعادة والحنان.
- ألا تجعل سوء التصرف من قبل طفلها يجرمها من الاستمتاع بأمومتها، والقاعدة الذهبية من أجل ذلك أنه كلما كنا أكثر قدرة على تحمل مسؤولية الأمومة ومهامها الصعبة كلما استمتعنا بأمومتنا أكثر، وكنا أمهات ناجحات في تربية أبنائنا، وقادرات على تحقيق الأهداف التي خططنا لها جيداً.
- ألا نربي ونؤدب بالطريقة التي ربينا عليها، صحيح أن كثيراً من الأفكار والطرائق والقيم والمهارات التي ربينا عليها وتربينا عليها صحيحة ولكن الصحيح أيضاً أن بعضها خاطئ، وعلينا أن نقوم بعملية انتقاء وغرلة للتراث فنأخذ الصالح والمناسب لروح العصر، ونتخلى عن الطالح الذي لم يعد مناسباً، ونعمل بالقول الكريم: « ربوا أولادكم على غير أخلاقكم، فقد خلقوا الزمان غير زمانكم ».

— أن نتقني من حضارات العالم المعاصر ما يناسب عاداتنا وتقاليدينا ودياناتنا السمحة، ولا نقتل تقليداً أعمى، وعلينا أن نركز على الأمور الواقعية، ونهتم بالأمور الجوهرية مثل الصحة النفسية والسعادة والتسامح واحترام الذات وحب الآخر ...

وعلينا ألا ننسى أن أطفالنا واقعون تحت ضغوط هذا العصر، كضغوط الانفعالات والدراسة والإعلام، هذه الضغوط أثرت وتؤثر على المنهج التربوي عموماً، وعلى أدائنا وطاقتنا في التعامل معهم كأبناء.

إن الأساليب والطرائق الخاطئة في تنشئة الأبناء، تؤدي بالضرورة إلى أزمة فقدان الثقة بيننا وبينهم، وتنعكس سلباً على نموهم وسيورتهم.

فالأبناء ثمار تتكون وتنمو مارة بمراحل عديدة، هي الطفولة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة وصولاً إلى مرحلة الشباب والنضج.

ونحن كأباء وكأمهات بصفة خاصة، علينا أن نؤمن لهم المناخ المناسب كي يحدث هذا النمو، ويتواصل بصورة طبيعية، وكي تمكنهم من بناء شخصيات متوازنة قادرة على مواجهة الصعوبات والمشكلات التي تترافق وهذه المراحل؛ سواء منها النفسية، أم الاجتماعية، أم المادية، أم الجنسية، أم سواها.

ثالثاً: ما دور المرأة في التربية والتعليم بمراحله كافة؟

لعل لغة الأرقام أكثر قدرة على التعبير والإفصاح عن هذا الدور وسأشير بعجالة إلى نسبة النساء العاملات في قطاع التربية والتعليم في القطر العربي السوري:

المرحلة التعليمية	العام	نسبة النساء العاملات
رياض الأطفال	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٩٨%
الابتدائي	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٦٧%
الإعدادي والثانوي	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٤٩%
التعليم المهني	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٤٧%
المعاهد المتوسطة	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٤٧%
الجامعات	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	٢٢,٩%
البحث العلمي	٢٠٠١ — ٢٠٠٢	١٥ — ١٦%

ولو نظرنا إلى هذه النسب نظرة تحليلية، لوجدنا أن العبء الأكبر لعملية التربية والتعليم إنما يقع على كاهل المرأة، لا سيما في رياض الأطفال وفي مرحلة التعليم الأساسي. إن المرأة في هذه المؤسسات ليست معلمة أو مدرسة أو أستاذة جامعية فقط، بل إنها أولاً وقبل كل شيء أما هؤلاء التلاميذ والطلبة تتفهم حاجاتهم ومشكلاتهم وتساعدهم على حلها، تحاورهم تصغي إليهم، تكافئ سلوكياتهم الناجحة، وتعاقب الخاطئ منها تحنو عليهم وتتقبل أخطاءهم، تعب وتسهر الليالي كي يتعلموا ويرتقوا تشعر وتستمع بنجاحاتهم ومن أجل ذلك فقد جرى التأكيد أكثر من مرة على تأنيث التعليم في سورية في رياض الأطفال وفي مرحلة التعليم الأساسي بصفة خاصة.

ولكن السؤال المطروح الآن، هو: كيف تحافظ المرأة على هذا الدور الرائد والأساسي في عملية التربية؟

يجب أن نعترف أن هناك مؤسسات وجهات كثيرة باتت تنافس الأسرة والمرأة خاصة في عملية التربية والتنشئة مثل: التلفزيون، الكمبيوتر، الإنترنت، وسواها.

لكن على المرأة أن تحرص على أن تلعب دور القائد لهذه العملية، إلا أن ذلك يتطلب منها أن تعمل وتجتهد كي تنمي وتدرّب وتعلم ذاتها باستمرار لتصبح مؤهلة وجديرة بهذا الدور القيادي الرائد.

إن الفرد طفلاً كان أم مراهقاً، أم شاباً عندما يجد أن أمه أو معلمته تلبّي حاجاته، وتلأخذ بيده، وتحترمه، وتجيّب عن أسئلته واستفساراته (العديدة والمعقدة) تستطيع أن تكون المرجع والملاذ الأساسي بالنسبة له، ما إن يتعد قليلاً عنها حتى يشعر بالحاجة إلى العودة إلى حضنها الدافئ، ومعارفها وخبراتها الغزيرة، التي يستطيع أن ينهل منها ما يشاء وما يحتاج إليه في كل وقت وفي كل حين.

إنه لمن المؤكد أن دور المرأة دور معقد، دور متغير ومتجدد فهي ممثلة للسلطة ومنفذة للسياسة التربوية، ونموذج يحتذى به وممثلة لقيم النظام وقيم المعرفة، والتحصيل الدراسي والجد والاجتهاد.

وهي بالإضافة إلى دور الأمومة التربوي الشامل تتابع دورها التربوي في الروضة والمدرسة والمعهد والجامعة والبحث العلمي، وهي في كل هذه القطاعات تثبت كفاءتها وجدارتها يوماً بعد يوم.

وعلى الرغم من هذه المكانة الكبيرة التي تبوأها المرأة في مجال التربية والتعليم، إلا أننا يجب أن نعترف أنها ما زالت تعاني من تحديات كبيرة تعوق عملها التربوي بشكل أو بآخر، من هذه التحديات على سبيل المثال: التمييز بين الذكر والأنثى، تسلط بعض الرجال، تحديلت قانونية وتشريعية، تحديات المعايير والمعتقدات الخاطئة، إضافة إلى ممارسة العنف والقهر عليها في كثير من البيوت والمؤسسات.

لقد قطعت المرأة في سورية أشواطاً كبيرة على درب التحرر والتقدم والتكافؤ منع الرجال، لكن حتى تستطيع أن تحقق أهدافها وطموحاتها وتكون نداً وشريكاً حقيقياً للرجل، لا بد من عملية إعدادها لدورها التربوي إعداداً مجتمعياً سليماً ومستمراً يستند إلى أسس علمية سليمة.

رابعاً: ما متطلبات إعداد المرأة للتربية؟

متى يبدأ الإعداد، من يقوم بعملية الإعداد، وكيف تتم هذه العملية؟

أسئلة ثلاثة لا بد من الإجابة عنها:

أ - متى يبدأ إعداد المرأة لدورها التربوي؟

يبدأ إعداد الفرد بشكل عام لأدواره في الحياة، ذكراً أم أنثى، منذ الطفولة بل حتى منذ فترة الحمل، إذ إن الاستعداد للعمل والإنجاب والعناية الصحية والنفسية بالأم طوال فترة الحمل، ومن ثم العناية بالمولود منذ لحظة الولادة، وعلى مدى المراحل النمائية كافة (الطفولة المبكرة، المتوسطة، المتأخرة) ثم التربية في مرحلة الرشد والتربية المستمرة مدى الحياة، وذلك بغية تعلم المهمات النمائية والمتطلبات الخاصة بكل مرحلة إضافة إلى تعلم المهارات والقيم والاتجاهات التربوية الأصيلة والمعاصرة التي تتلاءم مع بيئتنا ومجتمعنا وقيمنا وعاداتنا.

ب - من يقوم بعملية إعداد المرأة؟

يقوم بهذه العملية أولاً وقبل كل شيء الأسرة وبخاصة الأم، وإن كنا نتحدث في هذه الأيام عن التربية الوالدية كمشتغلين في علم النفس، أي الأم والأب معاً.

لكن وبكل الأحوال وفي كل الظروف، ومهما حدث من تغيرات وتطورات في هذا المجال، فإن مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق الأم بالدرجة الأولى وبلغة الأرقام أستطيع أن أقول واستناداً إلى إحصائيات موثوقة أن الأم تتحمل (٧٠ - ٨٠%) من هذه المسؤولية الجسمية وبخاصة في المجتمعات الشرقية والعربية، ولو أنني أميل شخصياً إلى الاتجاه الذي يرى ضرورة تقاسم هذه المسؤولية مناصفة، سيما أن نسبة كبيرة من النساء خرجن إلى العمل.

ج - كيف تتم عملية إعداد المرأة للأمم ولدورها التربوي بشكل عام؟

هناك وسيلتان أساسيان: الأولى غير مباشرة، والثانية مباشرة.

١ - وسيلة غير مباشرة:

دور القدوة: تعد الأم قدوة لأبنائها ولبناتها بالدرجة الأولى، فبمقدار ما تكون واعية، متعلمة، مثقفة، مدربة على مهارات الأمومة والعناية بالطفل، متفهمة لخصائص النمو في كل مرحلة نمائية، متابعة ومهتمة، بمقدار ما تتمكن من القيام بهذا الدور فهي نموذج يحتذى، والقاعدة هنا هي « التعلّم بالأفعال وليس بالأقوال »، التعلّم التطبيقي وليس النظري فقط، فالأطفال يراقبون سلوكيات الأم، ويحاكون هذه السلوكيات فيما بعد إلى أن تثبت وتترسخ لديهم، لكن من واجبنا أن ننوه أن القدوة قد تكون سلبية أو إيجابية، والمرأة القدوة هي التي تتمتع بخصائص وسمات مميزة تحوز على إعجاب الفتاة والفتى في الشكل والمضمون، والنساء القدوة كثيرات في مجتمعنا ليس فقط الأم بل المعلمة والشاعرة، والطبيبة والإعلامية الناجحة وسواها ... والشخص السوي ينمو عادة لأن يتمثل صفات القدوة الإيجابية، وعكسه الشخص غير السوي الذي يعيش في أسرة مفككة ولديه أبوان مقصران في واجبات نموه إلى حد كبير.

٢ — الوسيلة المباشرة:

وأعني بها الدور المخطط والمهدف الذي تقوم به المرأة أما كانت أم عاملة في أي مجال آخر من أجل تعليم أبنائها وتربيتهم، ويتطلب دور الأمومة من المرأة: إعداد نفسها بشكل أكاديمي وخبري، وهناك مهارات ثلاث لا بد من أن تتدرب عليها وهي:

— مهارة التحلي بالشجاعة والصراحة والوضوح مع أبنائها.

— مهارة التحلي بالصبر، والصبر الطويل، وإعطاء الوقت الكافي لرعاية الطفل، وأشير هنا وفي هذه العجالة أن التكنولوجيا والضغط على الأزوار والحصول على ما نريد بسرعة البرق، علمتنا قلة الصبر وقلة التأني وعدم الاهتمام.

— التدرب على مهارات الأمومة (تنظيف، إطعام، تعليم ... الخ) لأن السلوك الناجح للأبناء لا يأتي عن طريق السحر والرغبات والأمان، وإنما يتعلم ويكتسب ويحتاج إلى تدريب وتعليم متواصل.

إن التدريب على هذه المهارات، يتطلب أن تتناسب مع متطلبات العصر ومتغيراته وصعوباته، ويتطلب حزمًا ومرونة في آن وقدرة على الحوار من أجل التوصل إلى حلول للمشكلات اليومية والمتجددة بين الآباء والأبناء.

وعلى ذلك يكون النهوض بالمرأة وترسيخ حقوقها شرطاً أساسياً من شروط توطيد الحداثة والتطوير في مجتمعنا العربي الذي لا يزال يزرع تحت ثقل الموروث وقصور الاجتهاد، لأن النهوض بالمرأة يعني النهوض بالأسرة بكافة أفرادها ذكوراً كانوا أم إناثاً، ويعني بالتالي النهوض بالمجتمع بكل فئاته ومؤسساته وهذا ما أكده القائد الخالد حافظ الأسد حينما قال: «علينا أن نتمكن المرأة من أداء دورها الكامل في بناء الوطن، وتقديم المجتمع، لكي نبني المستقبل سليماً قوياً معافى لا ظلم فيه ولا تفرقة».

خامساً: ما دور المدرسة في إعداد المرأة لأدوارها التربوية؟

تلعب رياض الأطفال، ومن ثم المدرسة بمراحلها الأساسية والثانوية دوراً هاماً في عملية إعداد الفرد ذكراً أم أنثى لدوره التربوي في المستقبل.

إن المدرسة بما تقدمه من معلومات قيمة ومفيدة وفي الحقول والمجالات العلمية كافة، تسهم في بناء شخصية الأنثى وتكوينها وتساعد في الحصول على المعلومات والمعارف والمبادئ العلمية من خلال المناهج والكتب المدرسية كما تساعد على اكتساب المهارات الحياتية من خلال ممارسة الأنشطة المدرسية المتعددة الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والوطنية والفنية التي تقيمها في المناسبات والمهرجانات الوطنية والدينية إضافة إلى تعلم وممارسة أنشطة ومهارات تربوية تعد جزءاً لا يتجزأ من المنهاج الدراسي مثل: التريية البيئية والصحية والوطنية، ومهارات أخرى ترفيهية تربوية مثل الرسم والرقص، والعزف واللعب بأنواعه المختلفة وبخاصة اللعب الدرامي.

إن التعليم بالمعنى الشمولي الحديث والمتطور يسعى ليقرب من الفهم الشمولي للتربية الحديثة ليتمكن الفرد وبخاصة الأنثى من تحقيق ذاتها، ويشعرها بقيمتها وإنسانيتها، ويوفر لها مزيداً من الوعي والتحرر الفكري والاجتماعي، الأمر الذي ينعكس على تنشئة أبنائها تنشئة صالحة ويساعدهم على تخطي العقبات والصعوبات التي يواجهونها في حياتهم، ويمكنها كذلك من التوجه الصحيح إلى المرشد أو المعالج النفسي في حال كانت هذه المشكلات صعبة ومعقدة.

بهذا النوع الشامل والراقي من التعليم يمكن أن نطمئن على مستقبل أبنائنا، ونضمن لهم الصحة والسعادة التي تمكنهم من أن يعملوا وينتجوا، وتحملوا المسؤوليات الجسام التي ستلقى على عواتقهم.

سادساً: ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الجامعة في إعداد المرأة؟

إن عملية التربية مستمرة كما سبق وأشرت مراراً، فلا يجوز أن تتوقف عند مرحلة نمائية أو دراسية معينة، ولم يعد يكفي أن تحصل الأنثى على تعليمها الأساسي أو الثانوي ثم تخرج أو تتسرب من المدرسة بإرادتها أحياناً، ورغماً عنها في كثير من الأحيان بحجة العمل أو الزواج أو سواه .. بل عليها أن تواصل تعليمها العالي لا لتحصل على شهادات وتعمل

وتستقل اقتصادياً فقط، بل لتواصل عملية تربيتها وإعدادها، وتتمكن من تحقيق ذاتها، لتكون نداءً للرجل وكفوؤاً له، في البيت والعمل، في التربية والاقتصاد والسياسة، وفي مجالات الحياة كلها... إن عصرنا اليوم بما ينطوي عليه من صعوبات وتعقيدات، لم يعد يقبل أرباع أو أنصاف متعلمين، ولم يعد من المقبول أن نرى أعداد الأميين يتضاعف لا سيما في صفوف النساء، ولا أعني بالأمية هنا أمية الأبجدية فقط، بل الأمية الوظيفية والتقنية ومن ثم التربوية.

لقد بات من المطلوب — لا بل من الملح — على المرأة الآن كي تتمكن من القيام بالأدوار الملقاة على عاتقها أن تدخل مجال الثقافة الحديثة للتعلم والتدرب على مهارات الكمبيوتر والإنترنت، ولتتمكن من التواصل مع آخر منتجات العلم والتكنولوجيا، ولتعيش منتجة وفاعلة ومؤثرة، وتتجنب أن تكون مهمشة أو عالية على أسرتها ومجتمعها.

إن دور المرأة العربية يتمثل فيما يتوقعه منها مجتمعها، من أنشطة وأفعال ومسؤوليات وواجبات والتزامات وإتجاهات، ومواقف تجاه قضايا الحياة المعاصرة، بكل ما تنطوي عليه من تنوع وتعدد أو صعوبات وتعقيدات، لكن ذلك كله لن يتأتى لها، ما لم تواصل تعليمها وتدريبها على مهارات الحياة الشاقة الصعبة.

إن ما يشغل الكثير من النساء العربيات الآن، هو المطالبة بالمساواة مع الرجل ورفع الحيف والظلم عن المرأة، لكنني أرى أن حصول المرأة على هذه الحقوق المشروعة يتطلب منها نضالاً مستمراً كي تكون جديرة بهذه الحقوق.

إن حقوق المرأة لا تأتي عن طريق التوسل أو الاستعطاف أو الخطابات أو حتى القوانين والأنظمة، إنما تأتي فقط عن طريق العلم والعمل والكفاح المستمر كي تتمكن من أن تكون، وتصبح قادرة على انتزاع هذه الحقوق.

بذلك فقط يتحقق التكافؤ والتكامل بين الجنسين، ويتوازن المجتمع، ويتمكن من السير على درب التحديث والتطوير الذي دعا إليه ويعمل من أجله السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد.

ومما لا شك فيه أن دور المرأة في عملية التربية والتنشئة داخل الجامعة، هو الدور الأرقى والأصعب والأكثر تعقيداً، من كل أدوارها السابقة لأنها تتعامل مع شباب يعيشون أزمة

هوية، وأزمة انتماء وأزمة ثقة، ويبحثون عن المستقبل والاستقرار وتأسيس أسرة ناجحة تسهم في بناء الوطن وارتقائه.

إن على المرأة في الجامعة أن تُعلم، وتُؤلف، وتُرشد، وتحل مشكلات الطلبة، وتنجز أبحاثاً علمية، وتواكب تطور المسيرة العلمية المعرفية في اختصاصها، وعليها كذلك أن تنقل العلم والمعرفة للطلبة، وعليها أن تطور نفسها وتتعلم باستمرار، وإلا فإنها ستتخلف وتسير خلف طلبتها بدلاً من أن تكون قائدة لهم ونموذجاً يحتذى.

إن الحديث عن دور المرأة في التربية يطول ويطول، وقد يبدأ ولا ينتهي، لكنني آمل أن أكون قدمت بعض الأفكار المفيدة في هذه العجالة، وآمل للمرأة أيضاً في مجتمعاتنا العربية ومجتمعنا السوري بصفة خاصة مزيداً من التقدم والرفق الذي يمكنها أن تكون على مستوى التحديات.

المراجع المعتمدة

- الأحمـد — أمل (٢٠٠٠): أبحاث ودراسات في علم النفس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الشيباني — عمر محمد التومي (1986): ديمقراطية التعليم في الوطن العربي، المنشأة العاملة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.
- علي — سعيد إسماعيل (١٩٩٩): رؤية سياسية للتعليم، عالم الكتب، القاهرة.
- المرشد — علي بن مرشد (٢٠٠١): دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع، المجلة العربية، العدد ٥٤ الرياض، السعودية.
- سورية: فريق من الباحثين في وزارة التربية (٢٠٠٣) المرأة في التربية والتنمية في الجمهورية العربية السورية.
- خضر — محسن عمار (٢٠٠٠): العدالة في التعليم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- الساعاتي — سامية محمد حسن (١٩٩٩): علم اجتماع المرأة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الأفندي — مائسة محمد حامد (١٩٨٣): المؤثرات الاجتماعية الاقتصادية والتعليم المرأة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.